

تفسير البغوي

7 - قوله تعالى : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات } مبينات مفصلات سميت محكمات من الاحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها { هن أم الكتاب } أي أصله الذي يعمل عليه في الاحكام وإنما قال : { هن أم الكتاب } ولم يقل امهات الكتاب ان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل : معناه كل آية منهن ام الكتاب كما قال : { وجعلنا ابن مريم وأمه آية } (50 - المؤمنون) أي كل واحد منهما آية { وآخر } جمع أخرى ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل : عمرو و زفر { متشابهات } فإن قيل كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكما في موضع آخر ؟ فقال : { الر كتاب أحكمت آياته } (1 - هود) وجعله كله متشابهها في موضع آخر فقال : { انزل أحسن الحديث كتابا متشابها } { 23 - الزمر } .

قيل : حيث جعل الكل محكما أراد أن الكل حق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها أراد بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل هاهنا بعضه محكما وبعضه متشابها . واختلف العلماء فيها فقال ابن عباس Bهما : المحكمات هن الآيات الثلاث في صورة الأنعام { قل تعالوا أتله ما حرم ربكم عليكم } (151) ونظيرها في بني اسرائيل { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه } (23 - الإسراء) والآيات وعنه أنه قال : المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور .

وقال مجاهد و عكرمه : المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا كقوله تعالى : { وما يضل به إلا الفاسقين } (26 - البقرة) { ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون } (100 - يونس) .

وقال قتاده و الضحاك و السدي : المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس Bهما قال : محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل : المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه لاسبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن أشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : تلمحكم ما لا يحتمل من التاويل غير وجه واحد والمتشابه ما احتمل وقيل : المحكم ما يعرف معناه وتكون حججها واضحة ودلائلها لائحة لا تشبهه والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال

بعضهم : المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده الى غيره .
قال ابن عباس Bهما في رواية (باذان) : المتشابه حروف التهجي في أوائل السور وذلك أن
رهما من اليهود منهم حيي بن اخطب و كعب بن الاشرف ونظراؤهما أتو النبي A فقال له حيي :
بلغنا أنه أنزل عليك (الم) فنشدك ا انزلت عليك ؟ قال : نعم قال : فإن كان ذلك حقا
فإني أعلم مدة ملك أمتك هي إحدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها ؟ قال : نعم (المص) قال :
فهذه أكثر هي إحدى وستون ومائة سنة قال : فهل غيرها ؟ قال : نعم (الر قال : هذه أكثر
هي مائتا وإحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن
لا يؤمن بهذا فأنزل ا تعالى : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم
الكتاب وآخر متشابهها } .

{ فأما الذين في قلوبهم زيغ { أي ميل عن الحق وقيل شك { فيتبعون ما تشابه منه {
واختلفوا في المعنى بهذه الآية قال الربيع : هم وفد نجران خاصموا النبي A في عيسى عليه
السلام وقالوا له : ألسنت تزعم انه كلمة ا وروح منه ؟ قال : بلى قالوا : حسينا فأنزل
ا هذه الآية .

وقال الكلبي : هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجها بحساب الجمل وقال ابن
جريح : هم المنافقون وقال الحسن : هم الخوارج وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية : { فأما
الذين في قلوبهم زيغ { قال : إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم وقيل : هم
جميع المبتدعة .

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد ا النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا
محمد ابن اسماعيل أنا عبد ا بن مسلمة أنا يزيد بن ابراهيم التستري عن ابن أبي مليكة
عن القاسم بن محمد عن عائشة Bهما قالت : تلا رسول ا A هذه الآية { هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات { - إلى قوله اولو الأبواب قالت :
قال رسول ا A فإذا رأيت الذي يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى ا فاحذروهم .
قوله تعالى : { ابتغاء الفتنة { طلب الشرك قاله الربيع و السدي وقال مجاهد : ابتغاء
الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم { وابتغاء تأويله { تفسيره وعلماه ودليله قوله تعالى
: { سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا { (78 - الكهف) وقيل : ابتغاؤه عاقبته وهو
طلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل دليله قوله تعالى { ذلك خير وأحسن تأويلا { (350 -
الإسراء) أي عاقبة .

قوله تعالى : { وما يعلم تأويله إلا ا والراسخون في العلم { اختلف العلماء في نظم هذه
الآية فقال قوم : الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني : أن تأويل المتشابه يعلمه
ا ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم { يقولون آمنا به { وهذا قول مجاهد و الربيع

وعلى هذا يكون قوله { يقولون } حالا معناه : والراسخون في العلم قائلين آمنا به هذا كقوله تعالى : / { ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فإنه وللرسول ولذي القربى } (7 - الحشر) ثم قال : { للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم } (8 - الحشر) إلى أن قال : { والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم } (9 - الحشر) ثم قال { والذين جاؤوا من بعدهم } (10 - الحشر) وهذا عطف على ماسبق ثم قال : { يقولون ربنا اغفر لنا } (10 - الحشر) يعني هم مع استحقاقهم الغفر يقولون ربنا اغفر لنا أي قائلين على الحال . وروي عن ابن عباس Bهما أنه كان يقول في هذه الآية : أنا من الراسخين في العلم وروي عن مجاهد : أنا ممن يعلم تأويله .

وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله { والراسخون } واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله : { وما يعلم تأويله إلا الله } وهو قول أبي بن كعب و عائشة و عروة بن الزبير Bهم و رواية طاووس عن ابن عباس Bهما وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي و الفراء و الأخفش وقالوا : لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى E ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايمن به وفي المحكم بالإيمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله أن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفي حرف أبي : ويقول الراسخون في العلم آمنا به .

وقال عمر بن عبد العزيز : في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا وهذا هو قيس في العربية وأشبه بظاهر الآية . قوله تعالى : { والراسخون في العلم } أي الداخلون في العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شكن وأصله من رسوخ الشئ في الشئ وهو ثبوته يقال : رسخ الإيمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل : الراسخون في العلم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى : { لكن الراسخون في العلم منهم } (162 - النساء) يعني (المدرسين) علم التوراة وسئل مالك بن أنس B عن الراسخين في العلم قال : العالم العامل بما علم المتبع له وقيل : الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء : التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه .

وقال ابن عباس Bهما و مجاهد و السدي : بقولهما آمنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم : آمنا به أي بالمتشابه { كل من عند ربنا } المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم { وما يذكر } وما يتعظ بما في القرآن { إلا أولو الأبواب } ذوو العقول

